الانزياحات الدلالية للهوية الثقافية في الفضاء العمومي الافتراضي

أ.شايب نبيل
جامعة المدية

ملخص :

تهدف هذه الورقة البحثية إلى إبراز أبعاد العولمة الاعلامية و الاتصالية على الهوية الثقافية للشباب الجزائري بمختلف شرائحه العمرية خاصة ان هذه الاخيرة تمثل الكيان الشخصي و الروحي للفرد بالموازاة مع العولمة الثقافية التي تتميز باحتكار المعلومات في ظل الشبكة العنكبوتية للمعلومات التي أصبحت وسيلة هامة لها لتلقي و تمرير الدوال الثقافية بما تحمله من معلومات و افلام و صور وأفكار ثقافية تطيح بمعالم الهوية الثقافية الخاصة بالشعوب و الافراد خاصة تلك الثقافة المادية التي تسيطر على شبكة الانترنيت و الاطاحة بالأخلاق الفاضلة اضافة الى الدعاية السياسية التي من شانها قلب الوضع الثقافي و السياسي للبلدان ، من هنا أصبحت لهذه الهوية الثقافية دلالات و معاني يمكن استنطاقها او بالأحرى قراءتها سيميائيا باعتبار ان العولمة ادت الى تطبيق ثقافة جديدة بأنساق ثقافية مختلفة مفادها ان للفرد الحرية في اختيار اي الثقافات التي يراها مناسبة بهدف ابراز طاقاته واستثمارها.

الكلمات المفتاحية:

الهوية، الرموز، الأنساق الثقافية، المحتوى الثقافي، العولمة، الاتصال .

Abstract

The aim of this paper is to highlight the dimensions of media and communication globalization on the cultural identity of Algerian youth in different age groups, especially that the latter represents the personal and spiritual entity of the individual in parallel with the cultural globalization that is

characterized by the monopoly of information in the light of the Internet of information which has become an important means to receive and pass Cultural functions, including information, films, pictures and cultural ideas that undermine the cultural identity of peoples and individuals, especially the material culture that controls the Internet and the overthrow of morality, as well as political propaganda The cultural identity of these countries has become a semantic sign of the cultural identity of the cultural identity. This is because the globalization has led to the application of a new culture with different cultural styles. The individual has the freedom to choose which cultures he sees fit to show his potential. And investment

Keys words

Identity, symbols, cultural patterns, cultural content, globalization, communication

مفهوم الهوية الثقافية من منظور سيميائي اتصالي

إن الهوية الثقافية هي تعبير عن الحاجة إلى الاعتراف والقبول والتقدير للإنسان، ففي الهوية الثقافية تشتغل جدلية الذات والآخر وتعيد كل جماعة بشرية تأويل ثقافتها من خلال اتصالاتها الثقافية ، وعلى كل كائن جماعي حي يتحول ويتغير من الداخل على ضوء تغير المصادر القيمية والسلوكيات، ومن الخارج بفعل أشكال التأثير الناتج عن علاقة الفرد بالمحيط كما أنها كيان يسير ويتطور وليس معطى جاهز ونهائي وهي تتطور إما في اتجاه الانكماش وإما في اتجاه الانتشار وهي تغني بتجارب أهلها وانتصاراتهم وتطلعاتهم وأيضا باحتكاكها سلبا وإيجابا مع الهويات الثقافية الأخرى.

من هنا يمكن القول، ان الهوية الثقافية والحضارية لأمة ما، هي القدر الثابت والجوهري والمشترك التي تميز حضارة أمة عن غيرها من الحضارات والتي تجعل الشخصية الوطنية أو القومية طابعا تتميز به عن الشخصيات الوطنية القومية الأخرى.

و من الناحية الاتصالية يمكن الحديث عن الخصوصية الثقافية التي ترافق الشعوب والأمم والجماعات البشرية والتي تعني في جوهرها استلاب الأمة أو الدولة من خصوصيتها الثقافية وهذا ما نراه من تأثيرات العولمة الاعلامية و الاتصالية ومحاولة الغرب التأثير على ثقافات إلى الآخرين خاصة وهي أمام مجتمعات تستهلك في المجال الثقافي أكثر مما تنتج.

وتعتبر تجليات العولمة الثقافية من التحديات الكبرى التي تهدد خصوصيتها الثقافية فالإحساس الذي لا زال متنامي لدى المجتمعات بالخطر على الوجود الذاتي لأفرادها بوصفهم ينتمون إلى الأمة كونية لحضارات متعددة هذا الوعي أخذ يولي مسألة الثقافة اهتماما يتعاظم تدريجيا فالثقافة تعتبر المكون الأساسي لوجدان أي مجتمع وتعبر عن العمق التاريخي والمتراكم في المجتمع فالثقافة تعبر عن الهوية والانتماء الوطني وبالتالي فالضرورة ملحة على التواصل الثقافي[1]

مما سبق نخلص الى القول ان الهوية الثقافية تلك المبادئ الاصلية السامية و النابعة من الأفراد او الشعوب وتلك ركائز الانسان التي تمثل كيانه الشخصي الروحي و المادي علما انها تمثل كافة جوانب الحياة لأعضاء الجماعة الموحدة التي تنتمي اليها الأفراد بالحس و الشعور الانتمائي لها.

الهوية الثقافية الجزائرية ..بين الماضي و الحاضر

بعد استعراضنا لأهم المفاهيم المفتاحية أو المركزية للموضوع، فإنه لابد من ربط هذه المفاهيم بمفهوم قد لا يقل شأنا عن المفاهيم الأخرى وهو محددات الهوية الجزائرية، فالمجتمع الجزائري جزء لا يتجزأ من العالم العربي الإسلامي، وبالتالي فإن الهوية الجزائرية بالمفهوم الحضاري تعني الانتماء إلى الأمة العربية الإسلامية بكل مكوناتها

هذه الهوية الواضحة اجتماعيا والتي تحظى بالقبول النسبي من طرف جميع أفراد المجتمع وكذا مختلف الفاعلين السياسيين داخل المجتمع الجزائري بالإضافة إلى عوامل أخرى مادية أساسا مرتبطة بمستوى التقدم الاقتصادي والحضاري الذي يبلغه المجتمع

في مرحلة معينة من مراحله التاريخية غير أن هناك عدة عوامل تاريخية محلية وكونية ساهمت في بلورة ثوابت معينة للهوية الجزائرية تتمثل في ثلاث محددات:

1-الدين الإسلامي.

2-اللغة العربية

3-الأصل الأمازيغي

وإذا أقررنا من حيث المبدأ أن لكل مجتمع خصوصيته الثقافية التي تشكل هويته الذاتية ويسعى جاهدا للمحافظة عليها وصيانتها من الاندثار تحت وطأة وهيمنة الخصوصيات الثقافية للمجتمعات الأخرى،فإن للمجتمع الجزائري خصوصية ثقافية قد تميزه عن باقي المجتمعات العربية الإسلامية، فالخصوصية الثقافية تعني أنها:" عناصر خاصة بمجموعة اجتماعية معينة [2]

فالمجتمع الجزائري يعيش داخل فسيفساء من التعدد الثقافي فهو مجتمع عربي إسلامي، أمازيغي، متوسطي، إفريقي عالمي يجمع بين المعربين و المفرنسين، يجمع بين الشاوية والقبائلية و المزابية و التارقية غير أنه رغم هذا التعدد الثقافي فإنها تحيى داخل مجتمع واحد وموحد متضامن ومتماسك تحت لواء العروبة والإسلام [3].

ومن خلال ما سبق يمكننا القول أن العولمة الثقافية قياسا بالعولمة الاقتصادية والسياسية...إلخ تعني ترسيخ هيمنة هوية ثقافية معينة ليس هذه الهوية إلا الهوية الثقافية الأمريكية بكل أبعادها المادية ولاسيما المعنوية منها.

والمجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات العربية والإسلامية التي تع اني بدورها خطر العولمة الثقافية، فالمسألة الثقافية في المجتمع الجزائري تبدو شائكة لبعض الدارسين نظرا لتعدد الثقافي الموجودة فيه

فالمتتبع لواقع الهوية الثقافية الجزائرية يلاحظ كما ذكرنا سابقا أنها متعددة الأبعاد ومتشعبة الأطراف، نلاحظ غلبة التوجه الفرنسي فيها على سبيل المثال لا سبيل الحصر ولهذا يحتدم الصراع بين المعربين و المفرنسين وبالتالي نحن في مواجهة أزمة لغوية وثقافية في الجزائر فعلى الرغم من تنوعه الثقافي إلا أنه قائم في إطار وحدة ثقافية وطنية واحدة " فالقبائلية والشاوية و المزابية و التارقية ... ليست ثقافات منغلقة ومعيقة للتحديث والوحدة والتحول، بل هي واحدة من المكونات الأساسية للهوية

الوطنية ولا يحق لأي جهة احتكارها هذه الأخيرة التي تبدو في صور عدة منها الهوية المستمرة وهي الخطوط الكبرى التي تتناقل جيلا بعد جيلا ويكون المجتمع بواسطتها هو ذاته لا الآخر، أما الهوية المتحولة فتتشكل بواسطة التأثيرات التي تتلقاها ولكن تتحول عموما داخل الاستمرار ذاته

ولعل هنا يطرح التساؤل التالي ما هو الثابت والمتغير في الهوية ويمكن القول بأن الهوية تتضمن مكونات ثابتة وأخرى قابلة للتغيير، ويعتبر الدين واللغة من الثوابت الراسخة داخل هويتنا الثقافية دون إلغاء اللهجات الأخرى بينما تكون المكونات الأخرى من عادات وقيم وطرق تفكير قابلة للتغيير في الشكل الايجابي الذي تحدده حركية المجتمع وتفاعله الخارجي. ولعل هذا ما سعت إليه الجزائر حيث جعلت من الثقافة قضية تنموية معتبرة اللغة بمثابة أساس الهوية الثقافية فبدأت بتعريب المدرسة الأساسية والجامعة وتعريب الإدارة وقطاع العدالة والاقتصاد ...إل خ، رغم بعض الصراعات التي شهدتها بعض القطاعات بين المؤيدين والرافضين للفكرة، فرغم التحولات السريعة التي عرفها المجتمع الجزائري إلا أن الجهود متآزرة على المستوى الداخلي من أجل تحقيق تنمية لا تذهب بالخصوصية التاريخية والحضارية والثقافية للمجتمع الجزائري بل تدعمها من خلال تفعيل اللغة العربية لغة القرآن وبالتالي الحفاظ على ديننا بكل قيمه وأصالتنا وتراثنا الثقافي وبكل ما تحمله هذه الهوية الثقافية الجزائرية من تنوع متعدد [4]

دلالات العولمة الثقافية وأبعادها الرمزية في البيئة التكنولوجية البصرية

المقصود بالعولمة الثقافية بالطبع هو التقارب الذي يحدث بين ثقافات شعوب العالم المختلفة لدرجة ذوبان الفوارق الحضارية بينها، وصهرها جميعاً في بوتقة ثقافة واحدة ذات خصائص مشتركة واحدة.

ولاشك أن آليات تحقيق هذا التقارب قد زادت في السنوات العشرين الماضية لدرجة أصبح الإنسان معها في أي مكان في العالم المترامي الأطراف خاضعاً لتلقي كل أو على الأقل معظم ثقافات الشعوب المختلفة عبر وسائل الأعلام المختلفة، وعبر كل تلك المخترعات التي سهلت له الاطلاع على فكر الشعوب المختلفة وعاداتها وتقاليدها وديانتها

وعلى كل ما تنتجه قرائح هذه الشعوب في اللحظة نفسها التي تنتجه فيها أو بعد ذلك بقليل.

ما يتبادر إلى الأذهان عند قول عولمة ثقافية، هو وجود خصائص ثقافية عالمية تصلح لكل المجتمعات على اختلافها، و يمكنها أن تتبناها و إنما الأصح في ذلك هو أن العولمة تهدف لهيمنة الثقافة الغربية أوروبية على ثقافات العالم، من خلال هيمنتها على وسائل الإعلام بحيث تقولبها في قالب واحد، لتصبح ثقافة واحدة[5]

إن تعريف العولمة ثقافيا، يعني أن ينتقل اهتمام الفرد من ثقافته المحلية إلى الثقافة العالمية دون أن يهمش هويته الوطنية

و هي أيضا انتقال تركيز و اهتمام الإنسان من المحلية إلى العالمية، بمعنى أن يزداد الوعي بعالمية العالم ووحدة البشرية و بروز مفهومات جديدة للهوية و المواطنة العالمية التي قد تحل محل المفهومات المحلية لها.

فالثقافة هي بطاقة هوية كل بلد و كل مجتمع، تحمل نسقا مركبا من التر ا ث و التاريخ و اللغة والمعتقدات والتقاليد و القيم، والتي بها تتمايز المجتمعات. ونظام العولمة هذا يسعى إلى وضع نظام عالمي موحد ونموذجي ، عكس ما تتميز به الهوية الثقافية من خصائص التفرد و التعدد.[6]

إن المسألة هنا لا تأخذ مسارها بشكل مادي بمجرد الخضوع لاتفاقات معينة أو لقوانين معينة، بل هي مرهونة بالاقتناع الذاتي للفرد ومرهونة بالتالي بإرادة شعب ما التخلي عن ثقافته القومية والتنازل عنها لصالح تلك الثقافة الجديدة الوافدة. وإذا ما أدركنا أن معظم عناصر تلك الثقافة المعولمة أو التي يراد لها ذلك عناصر غربية وحاملة للقيم الغربية المادية المتطرفة في ماديتها.

عموما، تسعى العولمة إلى الوحدة و النمطية مقابل التنوع والتعدد الذي تقربه الهوية كما تهدف العولمة إلى القضاء على خصوصيات المجتمعات بينما تعترف الهوية بالاختلافات فيما تنتقل الهوية من العام إلى الخاص و من الشامل إلى المحدود، تنتقل العولمة من العام والشامل إلى اللامحدود و اللاتجانس.

هذه العلاقة كما هو واضح يشوبها صراع و تصادم بين المفهومين؛ حيث تطارد العولمة الهوية الثقافية للشعوب مطاردة مستميتة، يبقى أن نعلم إن كانت هذه الأخيرة[7]

في خضم الصراع المحتدم بين مؤيدي العولمة الثقافية و معارضيها، اقترحت أطراف من النخبة العالمية ممثلة في منظمة " اليونسكو" " وثيقة عمل و تأمل تمثل موقف وسط بين دعاة عولمة بلا حدود و على راسها الو.م.أ و بين ممثلي بلدان الجنوب المعرضة للاكتساح، تحمل هذه الوثيقة أطروحة " التنوع الثقافي ، وفيها دعوة للمجتمعات للت وفيق بين المطلب المزدوج للوحدة والتنوع: الوحدة باعتبارها شرط التماسك الجمعي، والتنوع باعتباره حقيقة حتمية و عامل ثراء للثقافات. كذلك تعميق الحوار ما بين الثقافات وفي إطاره الحوار ما بين الديانات، لخلق وحدة الحضارات، وهذا ما تحمله منظمة "اليونسكو" و منظمة الأمم المتحدة على السواء من شعارات ، لتفادي صراع الحضارات الناجم عن العولمة الثقافية.

إنّ أفضل طريقة لمعالجة تحدي العولمة لحماية الشباب، من سلبياتها وتهديداتها، أن ينخ رط كل المجتمع بهيئاته المختلفة ومؤسساته سواء الحكومية أو مؤسسات التربية: المدرسة والأسرة، في مفاهيمها، بأن يفهمها الفهم الصحيح، حتى لا يبقى معزولا[8]

تمثلات المحتويات الثقافية الرقمية في الانترنيت لدى الشباب الجزائري

ظهرت مع القرن الجديد ثورة معرفية و تكنولوجية هائلة ،جعلت الكتابة الرقمية من احد اساليب الحياة المعاصرة و وسيلتها في الاتصال والإنتاج والخطاب والتأثير ، و في هذه النقطة بالذات، اتسع حقل الاستغلال الفني لمعطيات الثورة المعرفية و التكنولوجية من خلال توظيف جماليات تكنولوجيات المعلومات على الخطاب اللغوي و البصري ، كون ان الانترنيت تعتبر وسيلة اتصال و مكتبة افتراضية متنوعة تؤمن سبل الوصول الى مصادر المعلومات.

ويقدم الخطاب الرقمي التفاعلي معايير جمالية جديدة وخصائص لم تكن متاحة من قبل في النص الورقي كخاصية تعدد المبدع والتأليف الجماعي للنص الرقمي وتعدد الروابط التي تؤدي بدورها إلى تعدد النصوص حسب اختيارات المتلقين ،هذا ما اشار

اليه جاكوب نيلسون jakob nielssen عندما اكد في احد مؤلفاته ان المحتوى الرقمي يمنح للمتلقي سلطة تصور عالم او كون سردي داخل العالم الافتراضي الذي يهتم بتحويل الممارسة السردية الى سلطة من التطبيقات النصية حيث يصبح القارئ او المسرود له في وضع المستكشف لتلك العوالم النصية. في هذا السياق ،لابد ان نشير الى بعض النصوص الرقمية المرفوقة بالصور المتحركة التي تلجأ في بنائها الجمالي إلى عناصر سيميائية مختلفة مثل الموسيقى ، الإلقاء الصوتي إلى جانب العلامات اللغوية التي لم تعد حركتها تنمو في شكل خطي تسلسلي ولكنها أصبحت متحركة تنمو بصورة تشعبية في اتجاهات مختلفة[9]

من هنا توالت انشغالات علمية وابحاث جديدة، اسفرت عن بزوغ مفاهيم جديدة في المحتوى الرقمي تمخضت بدورها عن التناول المكثف لمسالة التفاعلية بين القارئ و النص ولعل أول ما يتبادر إلى الذهن عند الحديث عن الهوية الثقافية في الانترنيت هو الخصوصية الذاتية والتفرد بصفات وخصائص معينة تعكس هذه الخصوصية وتميز هذه المجتمعات عن بعضها ففي ظل التوجه إلى العالمية نجد أن هناك توجها جديدا نحو تحديد الهوية فعند تحول الفرد إلى العالمية يحاول أن يؤكد هويته وشخصيته المميزة فالهوية تظهر في كل مكان وتؤكد على محورها في كل المجتمعات التي أصبحت مقسمة إلى مجموعات متعددة وسط كل هذا فهناك دول تختفي في الوقت الذي نجد فيه دولا تؤكد على هويتها وتزدهر على المستوى العالمي.[10]

إن التحول الذي أصاب المجتمعات العربية بصفة عامة و المجتمع الجزائري هو الانتقال من وحدة التعدد الذي أصبح الهدف العالمي فقد أصبح الاختلاف المعترف به الوحدة التي يعترف بها من خلال النظر إلى الاختلافات ومن خلال وضع التميزيات في الاعتبار.

وباعتبار الهوية الثقافية القومية هي الهوية المشتركة لجميع أبناء المغرب العربي لا يعني هذا إلغاء وإقصاء الهويات الوطنية ولا يعني أيضا فرض نمط ثقافي معين من الأنماط الثقافية المتعددة الأخرى، فالوظيفة التاريخية لهذه الثقافة هي وظيفة التوحد المعنوي والروحي والعقلي والارتفاع بالوطن وإيجاد أسباب الانفتاح على الثقافة والهوية

الخارجية فكل التحولات والتغيرات ترتكز في البنى الاجتماعية التي تعيش في أطر إقليمية محددة وبالتالي يكون التساؤل عن كيفية حدوث هذا التغير في الهوية والبنى الاجتماعية. ولهذا فإن التمسك بالهوية القومية هو وصف المخزون النفسي المتراكم من الموروث وتفاعله مع الواقع فانتقال المجتمع من مرحلة إلى أخرى لا يعني أنه أحدث قطيعة أو انفصال عن الماضي، بل يعني استمرار الحضارة، ولكن على أساس احتياجات هذا العصر وبالتالي فإن قضية الحفاظ على الهوية قضية كفيلة بإظهار وجودنا الثقافي في المعترك الحياتي واكتشاف جذورنا والتمسك بهويتنا.

إذن فتبني العولمة يؤدي إلى تحطيم القيم والهويات التقليدية للثقافات الوطنية والترويج للقيم الاستهلاكية ويمكن تلخيص ما سبق من آثار الثقافة المعولمة على هويتنا الثقافية فيما يلي:

1. التبادل اللامتكافئ بين العناصر الثقافية إذ يكون التبادل أحادي الاتجاه مما يخلق مشكل الخصوصية في ظل شمولية الاتصال.
2. الغزو الثقافي والذي يظهر استمرار آليات التي تحقق السيطرة وامتداد فعاليتها في شكل قوة تغلغل في مجتمعاتنا التي تقف موقف الجمود أمام التغيرات التي تحدث داخلها، الأمر الذي ينمي الإحساس بالتهميش والاستلاب من الثقافة الأصلية وتنامي الإحساس بفقدان هويتنا الوطنية القومية.
3. التبعية الثقافية من خلال اعتماد ثقافاتنا على ثقافات الأخرى في إنتاج وتطوير ثقافاتها وتتمثل هذه التبعية في عدة مظاهر منها إحلال قيم وعادات وأنماط سلوكية محل القيم السائدة في هذه المجتمعات حيث تظهر التبعية في المجتمع التابع كمجتمع مهشم ومتناقض يسوده التفكك وعدم الأصالة.
4. الإمبريالية الثقافية والتي تشير إلى الثقافة المسيطرة من خلال ما تمارسه الثقافة المتقدمة من هيمن على الثقافات المتخلفة والتابعة فتحتل هذه الهيمنة كانت إعلامية أم تكنولوجية مواقع أساسية في ثقافتنا من خلال فرض قيمها وأنماطها السلوكية.

الهوية الثقافية ... بين الخصوصية و قيم الحداثة و المعاصرة

تقوم الهوية على مجموعة من الركائز منها اللغة والدين والمذهب والفكر والعقيدة والعقلية وحديثا أصبحت الايديولوجيا من ضمنها أيضا، بالإضافة لما يملكه الفرد والمجتمع من الهوية الاقتصادية والعلمية والاجتماعية وما يتضمن من الموروثات التاريخية وتفرضه عليه جغرافية الشكل والنوع المعين من الهوية. في حالات يمكن أن تطغي بعض منها على الأخر وتختلف من بقعة لأخرى ناهيك عن الاختلاف الواسع مع الدول المتقدمة، وكلما كانت الظروف الاقتصادية مسيطرة على الفرد، وهو يهتم بها أكثر من المجالات الأخرى- أي الاهتمام بالهوية الخاصة[11]- يمكن أن تخفف الحداثة من سمك وثقل هوية الفرد سوى كانت اجتماعية أم ثقافية خاصة به، أي تقرب الأفراد رغم الاختلافات الكثيرة في كافة الجوانب من شكل وجوهر الهوية الخاصة بهم، في المجتمعات المتخلفة تبرز الاختلافات الخاصة بالهوية بين مكونات الشعب، وهناك من العوامل المؤثرة على التشدد في الالتزام بالهويات الخاصة ومنها الفقر والبطالة والتخلف في ظل أنظمة قمعية، وهذا ما يؤدي إلى مجابهة كل القيم الحديثة..

اختلف المفكرون في تأثير قيم الحداثة على الهوية، وتعددت آراء واتجاهات الباحثين في المجتمعات العربية الإسلامية حول الهوية بين قيم الأصالة والحداثة في ظل التحولات السوسيوثقافية لهذه المجتمعات، هناك من يرى الحداثة أمر مفروض ولابد لنا أن نبحث عن تأصيل لهذه القيم الحديثة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية وآخرون يدعون إلى اعتزال كل ما جاءت به الحداثة من قيم وآخرون يقولون بالتعامل مع الحداثة وما جاءت به من قيم لكن بحذر.

هذا وتعد الهوية في نظر بعض الباحثين والمفكرين من جهة أخرى عائقا ينبغي إزالته للانضمام إلى مسيرة الحداثة، أما بعضهم الآخر يرى أنها الحصن الدفاعي الذي يحمي الثقافة القومية من وحشية القيم الحديثة التي تعتبر دخيلة عن القيم الأصيلة للمجتمع، وبين هذا وذاك يوجد من دعا لهوية منفتحة ومتجددة، توازن بين الأصيل من القيم والمعاصر منها حسب الضرورة والاحتياج[12]

ولكن اليوم تأتي العودة القوية لثوابت الهوية الثقافية في الجزائر كما في دول العالم العربي الإسلامي، نتيجة لإخفاق الأيديولوجيات التمدنية الغربية، في بناء هوية منزوعة الصلة بالعمق الثقافي والتاريخي لهذه المجتمعات، وفشل قيم الحداثة وشعاراتها البراقة في إحداث التنمية والرفاهية المأمولة [13]

غير أنه يوجد من ينتزع عن الهوية سمتها الاجتماعية الثقافية، فيراها سياسية لها علاقة بالمواطنة، حيث الافتراض بأن الهوية تقوم على أساس ثقافي، مبني على فكرة التجانس الاجتماعي، وهو افتراض غير مبرر، ورأي آخر يرى في الحداثة أنها مسئولة عن الربط بين الهوية الثقافية والهوية السياسية، الأمر الذي أدى إلى صراعات اجتماعية في داخل مجتمعاتنا وهذا ربط لا يكون حقيقيا إلا عندما تعبر الهوية السياسية عن الهوية الثقافية التي ينظر إليها على أنها فعل مرتبط بالماضي والمستقبل، بينما الهوية السياسية فعل يقوم في الغالب على معطيات الحاضر[14]

ولكن بحثنا عن أصالة قيم هويتنا لا تعني إهمال ثقافة الآخر وعدم الاطلاع عليها والإفادة منها كما لا تعني ثقافة دينية بالمعنى الكهنوتي، وأيضاً ليست نشر العلوم الشرعية التخصصية التي تدرس في المعاهد كما هي عليه ، بل تعني العودة إلى الأصالة منهجاً وقيماً ومصدراً في تنمية ثقافة المجتمع أيا كان اتجاهها سياستا أو أدباً أو فكراً أو فناً.

فالمجتمعات العربية والإسلامية عامة و المجتمع الجزائري على الصعيد الثقافي لا تبدأ من العدم بل هي تستند إلى إرث ثقافي غني بالقيم البناءة، هذه المجتمعات تستطيع أن تقدر القيم الأصيلة لديها والموجودة في تراثها ودورها في تكويننا النفسي والاجتماعي

ونأخذ منه ما تقتضيه حاجتنا اليوم، وأن نقبل على الثقافة المعاصرة فنقتبس من ثقافات الآخرين ما تحتاج إليه ثقافتنا لتحقق معاصرتها ومواكبة الثقافات الأخرى، ولاسيما في ميدان العلوم والتقانة والتقنية والعلوم المستحدثة في السنوات الخمسين الأخيرة، فالمواءمة بين الموروث والجديد يحفظ للأمة هويتها ويجدد طاقتها على النماء والتطور[15]

في الأخير يمكن أن نؤكد على ما قاله الجابري فالهوية الثقافية لا تكتمل ولا تبرز خصوصيتها الحضارية، ولا تغدو قادرة على نشدان العالمية، على الأخذ والعطاء، إلا إذا تجسدت مرجعيتها في كيان مشخص تتطابق فيه ثلاثة عناصر: الوطن والأمة والدولة.

الوطن: بوصفه "الأرض أو الجغرافية والتاريخ وقد أصبحا كيانا روحيا واحدا يعمر قلب كل مواطن.

الأمة: بوصفها النسب الروحي الذي تنسجه الثقافة المشتركة قوامها ذاكرة تاريخية وطموحات تعبر عنها الإرادة الجماعية التي يصنعها حب الوطن.

الدولة: بوصفها التجسيد القانوني لوحدة الوطن والأمة، والجهاز الساهر على سلامتهما ووحدتهما وحماية مصالحهما وتمثيلهما إزاء الدول الأخرى، في زمن السلم كما في زمن الحرب.

انماط الحفاظ على الهوية الثقافية الجزائرية في ظل العولمة:

في الحديث عن استراتيجية الحفاظ على الهوية الثقافية في ظل العولمة يمكن أن نقول كيفية التعامل مع العولمة الثقافية وتنبع ضرورات التعامل والمواجهة الاعلامية لظاهرة العولمة بالأساس من الحاجة إلى حماية الهوية الثقافية الجزائرية [16] وصيانة خصوصيتها الذاتية ويتم ذلك من خلال التوجه إلى التطور الحضاري الإنساني ودعم التفاعل الحضاري الثقافي بين الأمم والشعوب ولا بد لهذه الاستراتيجيات أن تكون ممكنة يمكن تطبيقها في ضوء الفرص المتاحة وان تتسم بالنظرة الشاملة [17] وذلك بتحليل مختلف المتغيرات ومدى تأثيرها بعضا ببعض ويتم الحفاظ على الهوية من خلال مستويين يتمثلان في:

على المستوى الدولي:

لعل أهم نقطة للبدء في المحافظة على الهوية الثقافية أمام الآخر يمكن إطار التعامل مع قوى العولمة الثقافية وبناء النموذج الثقافي الوطني في المجتمعات العربية من خلال إجراء حوار عام يسفر عن إجماع وطني حول المشروع الثقافي الوطني والدعوة إلى الاندماج في الهوية الوطنية العربية مع الحفاظ على خصوصياتها وهي النقط المحورية التي تسعى من خلالها إلى قوى العولمة إلى تحطيم وحدة البلدان العربية.

إلى جانب ذلك لا بد من إجراء حوار في إطار مفهوم "التقريب" في الوقت الذي يصعب الحديث عن تعامل فعال مع العولمة الثقافية لأنه لا زالت هناك الكثير من التضاربات الثقافية في الوطن العربي إضافة إلى هذا لا بد من التوصل إلى استراتيجية ثقافية مشتركة بين البلدان العربية والغربية ويمكن ذلك من خلال حوار الحضارات العالمية، فالعوامة تدفع في اتجاه فرض القيم الغربية ومواجهة القيم غير الغربية.

على المستوى المحلي:

إذا تحدثنا عن الاستراتيجية على المستوى المحلي فتعتبر الاستراتيجية النواة لفرض وجودنا الثقافي واثبات خصوصيتنا الثقافية والهوية الوطنية القومية داخل المجتمع الجزائري ورفع هذه الهوية أمام الآخر وتكمن محاور ونقاط هذه الاستراتيجية في:

- محاولة المزاوجة بين المجتمع الحديث والحياة الشعبية التي خلفها الأجداد ويقصد هنا بالمزاوجة هو عدم الانفصام بين النواحي الحياتية والتجارب الموروثة التي لا بد أن تحضر وتحلل وتقدم في ثوب جديد مع الحفاظ على الإبداعية فلكل ثقافة محلية خصوصية، ولكن تجتمع كلها في صفات مشتركة تكون السمة الغالبة للهوية الثقافية.[18]
- تحديث ثقافتنا وتطويرها من خلال تبيان وضعية المتحول من الثابت فيها وذلك بإثبات هويتنا في وجه تيارات العولمة الثقافية حتى نتمكن من المحافظة على قوميتنا .
- إيجاد رؤية تصور العالم على أنه مجموعة واحدة نتبادل المنافع دون إسقاط الخصوصية التي تميز كل جماعة في موروثها الثقافي.
- رفض العزلة والهيمنة في الوقت نفسه ومحاولة وضع وجودنا الثقافي في المعترك الحياتي من خلال تطويع الثقافة الجديدة مع ثقافتنا حتى تصبح مزيجا من الأصالة والمعاصرة وهنا يمكن المحافظة على هويتنا ومواكبة الآخر.[19]

خاتمة :

لا يخفى على أحد أن المعارك الثقافية هي أعمق تجربة يمكن لمجتمع أن يخوضها من أجل تجاوز رواسب الماضي وأطر التقليد وآليات الاستلاب الفكري والهيمنة الإيديولوجية كما إنها إرادة إحلال هيمنة محل هيمنة أخرى، لكن على أرضية التحرر. وهذا تنشده كل هوية ثقافية فاعلة ومتفاعلة مع الخاص و العام فالبعد الثقافي هو معيار أولي لتحديد طبيعة مجتمع ما. وبغياب هوية ثقافية نقدية يكون المجتمع قد كرس ذاتيا الاستلاب واللافاعلية. وإذا كان المنظور الثقافوي يدافع عن الثقافة كمنطلق وهدف وزاوية نظر، فإنه يغفل تداخل مجموعة عوامل في تدمير ثقافة ما أو نهوض بهوية ثقافية.

و عليه فإن الهوية الثقافية الجزائرية في ظل العولمة لدى الشباب ليست وليدة اليوم، وإنما مرتبطة بعمليات الانفتاح الثقافي حتى قبل ظهور وسائل الإعلام والاتصال، حين كانت الدول والأمم في الماضي تنفتح على ثقافة أمة أخرى فتنهل منها ما يعجبها أو العكس، ويتحقق ذلك بفعل عملية التأثير والتأثر. أما في وقتنا المعاصر فازداد مشكل الهوية أكثر حدة، ليس فقط لأن مبتكرو وسائل الإعلام والاتصال يصدرون ثقافتهم لشعوب الدول النامية. بمعنى أن العلاقة بين الهوية المحلية و هوية العولمة ليست علاقة وحيدة الاتجاه، وإنما أصبحت الهوية تركيب بين معطيات العالم الواقعي والعالم الافتراضي او ما يسمى بالرقمي ، الذي يشكل جزءا كبيرا من العالم الواقعي، وهو ما من شأنه أن يؤدي إلى انقسام على صعيد الهوية.

ومن المحاور السابقة يمكن القول ان الهوية الثقافية روح تنبض وتاريخ يبنى وعنوان للذات ،فلكل مجتمع هوية تلخص تجارب الذوات الفردية و الجماعية المشكلة له في نضالها المستمر و المتواصل لشق الطريق للتقدم و الرقي في بيئة تكنولوجية بصرية تحمل انساق ثقافية ذات ابعاد دلالية مختلفة .

الهوامش:

1. محمد حسن برغثي: الثقافة العربية والعولمة دراسة سوسيولوجية لآراء المثقفين العرب، بيروت، المؤسسة العربية للنشر، 2007، ص42.
2. محمد العربي ولد خليفة: المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، 2003، ص75.
3. عباس الجراري: مكونات الهوية الثقافية المغربية، في: الهوية الثقافية للمغرب كتاب العلم ، السلسلة الجديدة، 1988 ، ص12.
4. محمد العربي ولد خليفة: المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، مرجع سبق ذكره ، ص 45.
5. محمد عابد الجابري، العولمة ومسألة الهوية بين البحث العلمي و الخطاب الاديولوجي، مجلة فكر ونقد، عدد 22 ،ص 76.
6. محمد حسين أبو العلا ، ديكتاتورية العولمة قراءة تحليلية في فكر المثقف، مكتبة مدبولي ، ط01،القاهرة، 2004. ص 22.
7. محمد حسين أبو العلا ، ديكتاتورية العولمة قراءة تحليلية في فكر المثقف، مرجع سبق ذكره ، ص88.
8. Peter Dahlgren, l'espace public et l'internet : structure, espace et communication, réseaux, volume18, 2010
9. محمد عابد الجابري ، "العولمة والهوية الثقافية" أطروحات دار المستقبل العربي، العدد 02-228 ،بيروت،1998. ص 55.
10. فلاح كاظم المحنة، العولمة والجدل الدائر حولها ،مؤسسة الرواق للنشر والتوزيع ،ط01،الأردن،2002 . ص76
11. 11-Jean-Noël Anderruthy, web 2.0 révolution et nouveaux services d'internet , EMI édition, France, janvier 2007
12. عباس الجراري: مكونات الهوية الثقافية المغربية، في: الهوية الثقافية للمغرب كتاب العلم ، السلسلة الجديدة، 1988.

13.بـدران بـن لحسـن: العولمـة ومنعطـف التجديـد، مجلـة الإحيـاء، العـدد 21، باتنـة، جامعة الحاج لخضر، 2007 ، ص55.

14.فريدرك معتوق: معجم العلوم الاجتماعية، مراجعة: محمد دبس، بيروت، أكاديميا، 1998 ،ص65.

15.ابن داود عبد النور: المدخل الفلسفي للحداثة تحليلية نظام تمظهر العقل العربي قراءة في نصوص ميشال فوكو، الجزائر، دار الاختلاف، 2009، ص77

16.بـدران بـن لحسـن: العولمـة ومنعطـف التجديـد، مجلـة الإحيـاء، العـدد 21، باتنـة، جامعة الحاج لخضر، 2007 .

17.Emmanuelle Border, Pascal Vaillant .Le statut du signe iconique entre iconicité et intertextualité. Paris.2006

18.حسن لطيف كاظم الزبيدي ،العولمة والمستقبل الدور الاقتصادي للدولة في العالم الثالث ،دار الكتاب الجامعي ، المغرب 2002.

19.عماد علي: الحداثة وتأثيراتها على الهوية الثقافية في منطقتنا، المثقف، العدد: 1370 ، 2010/04/10.